شهادة ذاتية

حضور المكان في غياب الزمن

وداد سليمان

عندما نعشق المكان، فإننا نخترق الأزمان، ويتخلق بيننا وبينه رباط وثيق، ولكن... وفي كل الأحيان، نكون مجبرين على الرحيل... فهذه هي الأقدار؛ نلتقي لنفترق، ليكون هناك أمل للقاء آخر. أنا اليوم أعشق المكان الذي يتربع فيه مركز القطان... أعشق الزمن الذي يكون فيه لقاء مع معلمين وباحثين في هذا المركز... هؤلاء الذين يعملون معاً بحب، وفي جو مفتوح وحوار مستمر.

مع ولادة فكرة تأسيس منتدى في مدينة دورا – الخليل، أتيحت لي فرصة أن أكون من الأعضاء المؤسسين لهذا المنتدى، وهذه الفرصة أتاحتها لي زميلتي نضال السيخ شاكرة لها ذلك. ولأنني أحب العمل المتواصل... والعطاء والإبداع، كنت متشوقة جداً لكل ما هو جديد... وما زلت.

في أحد الأيام أخبرتني منسقة المنتدى نضال السيخ أن هناك نموذجاً يجب تعبئته من أجل الالتحاق بورشة عمل ستعقد خلال تموز في مدرسة الحسين الثانوية في الخليل. أعطتني النموذج وبدأت أمعن النظر في عناوين المساقات المطروحة فيه... لكن كل مساق منها كان أجمل من الآخر، فكنت في حيرة من أمري، وكلي اندفاع وشوق للمشاركة فيها جميعها، لأنها مساقات رائعة تخدم العملية التربوية. ولكن للأسف! فلكونها تبدأ في الوقت نفسه، لم أستطع إلا اختيار واحدة منها فقط... لا شعورياً وجدت نفسي أضع علامة عند مساق الدراما؛ إيماناً مني بأن هذا المساق يخدم تخصصي في اللغة العربية... وكون هذا المساق من الوسائل الفاعلة التي تعتمد عليها التربية الحديثة في تنمية المتعلمين روحياً وجسدياً وذهنياً، وتطور الخيال والإبداع لديهم... وبالفعل شاركت في الورشة... وفي صباح اليوم التالي توجهت إلى مدرسة الحسين، ودخلت الغرفة المخصصة لهذا المساق، فوجدت الأستاذ وسيم الكردي المشرف على المساق، نظرت إليه فرأيت فيه حيوية، ونشاطاً، واستعداداً عالياً للعطاء... ومنذ اللحظة الأولى أيقنت بأن هذه الدورة تختلف تماماً عن الدورات المتكررة والمملة التي تعقدها مديرية التربية التي تسير على نمط واحد... بدأنا الأنشطة والتمارين في اليوم الأول، وكان غاية في الروعة والإبداع... وهكذا كانت باقي الأيام، فكل يوم كان أجمل من اليوم الذي سبقه... كنت أتمنى لو أن هذه الأيام تطول لأنها غير مملة، فكان الوقت يمضي دون أن نشعر به... وهذا الفضل يعود لحنكة المدرب وأسلوبه الرائع والمشوق في توصيل المعلومات والأفكار لنا.

لكن ما الذي كان يحدث لي؟ لا أعرف إذا كان الجميع مثلي أم لا... في كل نشاط أو تدريب جديد كنت أستعرض فوراً في ذهني الدروس والقصائد والمسرحيات للصفين التاسع والعاشر، وأعمل دراما في مخيلتي لهذه الدروس، وكنت مفعمة بالنشاط والحيوية، وأخاطب نفسي:

كيف أوظف الدراما في هذا النص وذاك؟ ما الذي سأفعله؟ متى تبدأ السنة الدراسية الجديدة حتى أبدع في عمل الدراما، أبدع في الأساليب الجديدة.

تمنيت لو تطول هذه الورشة حتى نحصل على المزيد من النشاطات والمعلومات الجديدة التي تخدمنا وتخدم طلابنا.

ولن يفوتني في الختام أن أتقدم بالشكر الجزيل للعاملين في مركز القطّان عامة، والأستاذ وسيم خاصة، لما قدمه لنا في هذه الورشة من معرفة جديدة وأساليب حديثة ورائعة، كان لزاماً علينا ذلك لما بذلوه ويبذلوه من جهد كبير، فهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على رؤية صادقة، وتوسيع لمساحة الإبداع لتحقيق الحلم في صياغة مستقبل واعد والارتقاء بطلابنا إلى المجد والعلياء لأنهم جيل الغد الواعد وأمل الأمة.

وداد سليمان
منتدى معلمي دورا/ الخليل